جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية
بالمنوفية

عاقبة المنذَرين في قصص المرسلين

(دراسة دعوية تحليلية)

الدكتور

إبراهيم إدريس علي حجاي

قسم الدعوة والثقافة الاسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين،
الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة،
المملكة العربية السعودية

مستلة من

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد التاسع والثلاثون، لعام ١٤٤٢هـ- ديسمبر ٢٠٢٠م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٠/٦١٥٧
والترقيم الدولي I.S.S.N 2636-2481

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

ملخص البحث

عاقبة المنذَرين في قصص المرسلين

(دراسة دعوية تحليلية)

الدكتور

إبراهيم إدريس علي حجاي

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين،
الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

الإيميل: Iu.edus@7139

هدفت الدراسة إلى تجلية موقف الإسلام من مخالفة أمر الله ورسله لما له عاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة وأن الأخلاق السيئة تنهى حياة صاحبها نهاية مرة وأن قصص الأمم السابقين تزيدنا يقينا وإيمانا وتحقق لحياتنا السعادة وتنير لنا الطريق. ومن أهم النتائج: إن أصحاب الإيمان العميق، والخلق القويم، والغيورين على طهارة النفوس وأعراض الناس، يستميتون في الذب عن دينهم، وعن كل ما أمر الله تعالى بالدفاع عنه، كما اقتضت حكمة الله – سبحانه– أن تكون عقوبته العادلة للمجرمين متناسبة مع جرائمهم وقبائحهم، يؤكد ذلك، أن قوم لوط (عليه السلام) حين قلبوا الأوضاع، وتركوا ما أحله الله لهم، وانغمسوا فيما حرمه –سبحانه– كانت العقوبة متسقة مع قبائحهم، حيث عاقبهم بأن جعل ما هو الأعلى إلى الأسفل وما كان عزيزا أصبح ذليلا.

الكلمات المفتاحية: العاقبة، المنذرين، القصص، المرسلين، الدعوة.

Missionaries in Missionary Stories

(An analytical advocacy study)

Dr.

Ibrahim Idris Ali Hagai

Department of Dawa and Islamic Culture, College of Da`wah and Fundamentals of Religion, Islamic University, Medina, Kingdom of Saudi Arabia.

E. mail Iu.edus@ 7139

Abstract

Research Summary

The study aimed to clarify the position of Islam towards violating the Cause of God and His Messengers because it has a dire consequence in this world and the hereafter, and that bad morals end the life of its owner once and that the stories of previous nations increase our certainty and faith and achieve happiness in our life and enlighten us the way.

Among the most important results: Those who have deep faith, righteous manners, and those who are zealous over the purity of souls and the honor of people are desperate to deflect their religion, and for everything that God Almighty has commanded to defend, as the wisdom of God - glory be to Him - required that His just punishment for criminals be proportionate to their crimes And their ugliness, confirms this, that when the people of Lot - peace be upon him - turned the situation, and left what God permitted them, and indulged in what He forbade Him - the punishment was consistent with their ugliness, as He punished them by making what is higher down and whoever dear became humiliated.

Key words: The consequence - Harbinger Stories Senders the invitation.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

هذه خطة بحث مقدم بعنوان عاقبة المنذَرين في قصص المرسلين **(دراسة دعوية تحليلية)**.

أولا: أهداف البحث

* تجلية موقف الإسلام من مخالفة أمر الله ورسله.
* الأخلاق السيئة تنهى حياة صاحبها.
* مخالفة رسل الله المنذرين عاقبتهم واقعة لا محالة.
* دراسة قصص الأمم السابقة تزيدنا يقينا وإيمانا.
* قصص الأولين يوضح لنا وسطية الإسلام وقدرته على تحقيق السعادة في الدارين.

ثانيا: أهمية البحث:

* لأهمية القصص القرآني نجد آثاره في كل الميادين.
* انتشار الإسلام عن طريق القصص القرآني إلى مختلف الشعوب.
*الأثر البارز للقصة القرآنية لأنها تقرب المعنى في شكل محسوس.

ثالثا: الدراسات السابقة

المكتبة الإسلامية زاخرة بمؤلفات كتب القصص القرآني ضمن أبواب التفاسير وأخيرا أفردت كتب كثيرة منها كتاب القصص القرآني للشعراوي وقصص الأنبياء

لابن كثير وكتاب من قصص القرءان لزغلول النجار وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين.

رابعا: أسباب اختيار الموضوع:

من أهم أسباب اختيار الموضوع:

* واقعنا الذي نعيشه فرقا وجماعات وطوائف متفرقة يحتاج لبروز أثر القصص القرآني.
* هجمات الأعداء تذكرنا بسالف الأزمان.
* ظهور نفس الأفعال والأقوال لإقصاء الدين من حياة المجتمع.
* سبل الإفادة من قصص القرآن الكريم وإيجاد قاعدة مشتركة لحل المعضلات الماثلة أمامنا

خامسا: حدود البحث: عاقبة المنذرين وقد تكررت خمس مرات

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ . . . فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ ﴾(١).

وهي تتحدث عن قوم نوح (عليه السلام).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ ﴾(٢).

وهذه تسلية لسيدنا محمد (ﷺ).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٥٨ ﴾(٣).

قوم لوط (عليه السلام).

---

(١) سورة يونس الآية، ٧٣

(٢) سورة الصافات الآية، ٧٣

(٣) سورة النمل الآية، ٥٨

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾(١). يهود خيبر.

سادسا: المنهج المتبع:

هو المنهج الوصفي التحليلي(٢)

خطة البحث على النحوي التالي:

المبحث الأول: تعريف مشتملات عنوان البحث.

وتحته ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** تعريف العاقبة.
- **المطلب الثاني:** تعريف المنذرين.
- **المطلب الثالث:** تعريق القصة القرآنية.

المبحث الثاني: عاقبة المنذرين(٣).

المبحث الثالث: مطر المنذرين.

المبحث الرابع: صباح المنذرين

المبحث الخامس: أوجه الشبه بين الأقوام الثلاثة:

الخاتمة ونتائجها والتوصيات والمصادر والمراجع وذيلته بفهرس الموضوعات.

أسأل الله التوفيق والقبول والسداد

(١) سورة الصافات الآية، ١٧٧.

(٢) يعد شكل من أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة وتصويرها وتحليلها واخضاعها للدراسة الدقيقة (أصول المنهج العلمي ومناهجه بدر أحمد).

(٣) مكررة فاكتفيت بالآية الواحدة تعطي نفس الغرض.

المبحث الأول

تعريف مشتملات عنوان البحث

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

تعريف العاقبة

العَاقِبَةُ: الولدُ والنَّسْل. والعَاقِبَةُ الجزاءُ بالخير. والعَاقِبَةُ آخرُ كلِّ شيء أَو خاتمتُه(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾(٢).

والعاقبة آخرُ كلِّ شيءٍ وخاتمتُه، الجزاءُ بالخير أو الشَّرِّ "حسنُ العاقبة -والعاقبة النَّظر في العواقب تلقيح للعقول- من نظر إلى العواقب سَلِمَ من النَّوائب وعقب كل شَيْء وعاقبته وعاقبه وعقباه آخِره (٣). قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾(٤).

هذه الآية الكريمة جاءت مرةً على لسان موسى (عليه السلام) وهو يبشر قومه الذين آمنوا به، بحسن العاقبة لهم في الدنيا قبل الآخرة، والتمكين في الأرض إن هم لازموا التقوى.

---

(١) أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، ج٤، المحقق: عبد السلام محمد هارون. (دار الفكر١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ص، ٧٩.

(٢) سورة الكهف الآية ٤٤.

(٣) أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج، ٢(المكتبة العتيقة ودار التراث، د، ت، ط). ص، ٩٩.

(٤) أسورة لقمان الآية ٢٠.

وجاءت هذه الآية بلفظ مقارب، في خطاب الله – تعالى –لنبيه محمد (ﷺ) في خواتيم سورة طه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾(١).

وَالْعاقِبَةُ الجملية المحمودة لِلتَّقْوى أي لأهل التقوى(٢).

وحُسن العاقبة لأهل التقوى، وكان بكر بن عبد الله المزني إِذا أصاب أهلَه خصاصةٌ قال: قوموا فصلُّوا، ثم يقول: بهذا أمر الله تعالى ورسوله، ويتلو هذه الآية.(٣).

والعاقبة الحسنة من عمل كل عامل، لأهل التقوى والخشية من الله، دون من لا يخاف له عقابا ولا يرجو له ثوابا.(٤).

ومن الضروري المعلوم أن العاقبة لا تنحصر في الآخرة التي ضمن الله النجاة فيها للمتقين، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾(٥). الجنة هي للذين

---

(١) سورة طه الآية ١٣٢.

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٦، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي (دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م) ص، ٢٦٧.

(٣) جمال للدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج، ٣، المحقق: عبد الرزاق المهدي (دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ) ص، ١٨٣.

(٤) محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، ج، ٧، المحقق: محمد باسل عيون السود (دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٨هـ) ص، ١٦٨.

(٥) سورة الزخرف الآية ٣٥.

يتقون الشرك ويخافون الآخرة، ويتقون المعاصي والفواحش ما ظهر منها وما بطن ويرجون رحمة الله ويخافون عذابه(١).

وهذا التفسير تحمله الآية بأن يقال: إن الإنسان الذي يثور على نفسه فيصلحها إنما هو الإنسان القادر وهو صاحب العزيمة وأنه المصلح الحقيقي وهو الذي يجتنب ويتمرد على ما ورث من تقاليد ونظم ربما كانت فاسدة أو على ما أفسده الزمان فيصلح هو الذي يصح أن يكون معنيا بهذه الآية التي تكمن فيها روح الشجاعة والثورة على فساد والعادات والتقاليد وفساد العقائد، وينتصر للمبادئ ويقضي على الفقر والجهل ومخالفة الشرع(٢).

وزينة الآخرة من الذهب والفضة ونعيمها من الفواكه والأرائك خير عند ربك لمن اتقاه فَجَدَّ في طَاعَتِه وَتَجَنَّبَ مَعَاصيَه.(٣).

والآية عامة في الدنيا والآخرة، ولكن قبل أن نسأل أين صدق هذه القاعدة، فلنسأل: أين تحقيق التقوى على الوجه الصحيح؟! وإلا فوعد الله لا يتخلف أبدا إذا توفرت شروط التقوى والإيمان والعمل الصالح! .

---

(١) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، ج٢ ص، ٢٥٧.

(٢) محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج، ٥، (دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، – دار اليمامة – دمشق – بيروت– دار ابن كثير – دمشق – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ) ص، ٩٤.

(٣) أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ج، ١٠، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي (مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م) ص، ٦٦٦٢.

العاقبة من كل شَيْء آخِره، ومنه عَقِبُ الرَّجُل، ومنه العقوبة؛ لأنها تاليةٌ للذَّنب وعنه تكون، وقد وعد الله وعدا جازما أنها للمتقين، وهي هنا في الدنيا النصر والظفر وفي الآخرة الجنة، والدليل على أنَّ المراد هو العاقبة في الدنيا قبل الآخرة أن الله ذكر ذلك عقب قصة نوح، ونصرَه بعد صبره على قومه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾(١). أي: العاقبة المحمودة لمن اتقى عذاب الله بأداء الأوامر واجتناب المعاصي. أي بمعنى أن عاقبة النصر لك ولمن معك، كما كانت لنوح (عليه السلام) ومن آمن معه من المؤمنين.

قال الطاهر بن عاشور(٢): "فإذا عُرِّفَتْ العاقبة باللام كان المراد منها انتهاء أمر الشيء بأحسن من أوله، وذلك لأن كل أحد يود أن يكون آخر أحواله خيرا من أولها لكراهة مفارقة الملائم، أو للرغبة في زوال المنافر، فلذلك أطلقت العاقبة مُعرَّفة على انتهاء الحال بما يسر ويلائم(٣).

---

(١) سورة هود الآية ٤٩.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: (مقاصد الشريعة الإسلامية)(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) •(التحرير والتنوير) (الوقف وآثاره في الإسلام) (أصول الإنشاء والخطابة)(موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. وكتب كثيرا في المجلات. الأعلام محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. (الأعلام للزركلي).

(٣) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج، ٩(الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ) ص، ٦٠.

وفي حديث أبي سفيان قول هرقل: "وكذلك الرسل تُبتلى ثم تكون لهم العاقبة"(١)، فلا تطلق المُعَرَّفَة على عاقبة السوء، فالمراد بالعاقبة هنا عاقبة أمورهم في الحياة الدنيا.

قال الإمام المراغي: والعاقبة الحسنى لمن يتقون الله ويراعون سننه في أسباب إرث الأرض باتحاد الكلمة والاعتصام بالحق وإقامة العدل والصبر على الشدائد والاستعانة بالله لدى المكاره، ونحو ذلك مما هدت إليه التجارب ودلت عليه الشرائع(٢). وذكر نصر الله للحق ومن صحاب النبيين والمرسلين، وختام العاقبة لهم، بعد الاختبار والصبر.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾(٣). جميع الرسل لا شك منصورون، والجند إذا استوفوا الشروط لغالبون، قضاء من الله لايرد؛ لأن سنة الله الكونية النصر لمن اتبع سبيله وسلك مسلكه.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾(٤). كتب الله كتابا وأمضاه سواء أكانت تلك المغالبة في الحجة والبيان، أم بالسيف والسنان(٥).

---

(١) موسى بن راشد العازمي، اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية» ج، ٢ تقريظ: الدكتور محمد رواس قلعه جي، الشيخ عثمان الخميس (المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م) ص، ٦٩٩.

(٢) أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج، ٩(شركة مكتبة ومطبعة مصطفى (البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م) ص، ٣٨.

(٣) سورة الصافات الآية، ١٧٣.

(٤) سورة المجادلة الآية، ٢١.

(٥) عبد الرحمن بن محمد القماش، جامع لطائف التفسير، ج، ٧. ص، ١٧٢.

وسنة الله ينبغي أن يعرفها المسلمون؛ لأن كثير من الدعاة يتعجل النصر دون وعي لمآلات العواقب.

وبعد التعريف بالعاقبة نسألها حسنها حري بنا أن ننتقل إلى التعريف بالمنذَرين.

المطلب الثاني
تعريف المنذرين

أنذرَ يُنذر، إنذاراً، فهو مُنذِر، والمفعول مُنذَر. أنذر الشَّخصَ الأمرَ/أنذر الشَّخصَ بالأمر/أنذر الشَّخصَ من الأمر: أعلمه به، وخوّفه منه قبل وقوعه، وحذّره من عواقبه (أنذره بتسليم نفسه- أنذره الخطر/شفهيًّا- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾(١).

مصدر قولهم أنذر ينذر، وهو مأخوذ من مادّة (ن ذ ر) الّتي تدلّ- كما يقول ابن فارس- على التّخويف أو التّخوّف،قال: ومنه الإنذار أي الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلّا في التّخويف، وتناذر القوم خوّف بعضهم بعضا، ومنه أيضا النّذر(٢). ووجه تسميته بذلك أنّ صاحبه يخاف إذا أخلف(٣).

---

(١) سورة الأعلى الآية، ١٤.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م جـ ٤، ٥: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م جـ ٦: ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) ص، ٢٤/٥).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٥١٤).

لَأَنْذَرَهُ الأمْرَ أَوْبِه: أَعْلَمَهُ، أَخْبَرَهُ، خَوَّفَهُبالعولقب قَبْلَ وُقوعِها لَأَنْذَرَهُ بِماقَدْ يَحْدُثُلَهُ إِذا هُوَ لَمْيَأْخُذْ حَذَرَهُ قد أعذر من لَنذر: أي من نبَّه على الخطأ فقد أزال عذر المخطئ. ويقال لا عذر لمن أنذر تناذرَ يتناذر، تناذُرًا، فهو مُتناذِر.

تناذر القومُ: أنذر بعضُهم بعضًا شرًّا إنذار – مفرد – جمعه إنذارات -إنذار بمعنى: إبلاغ وإعلام ولا يكون إلاّ في التَّخويف.

المنذر في العصر الحديث:

لإنذار بمعنى: عقوبة معنويّة تواجه مخالفات يكتفى فيها بلفت نظر الموظف إلى عدم العودة إلى المخالفة يقال –وجّهت الإدارةُ إنذاراً إلى الموظّف المقصر. والإنذار - في السياسة– تحذير توجّهه دولة إلى دولة أخرى قبل إعلان الحرب يقال (وجَّه إنذاراً نهائيًّا للمتمردين طالباً منهم الاستسلام).

والإنذار – في القانون – إخطار رسميّ يعقبه اتخاذ إجراءات قضائيّة في حالة عدم الاستجابة. فالإنذار شامل لكل مكروه وتحذير لكل عاصي.

وقال الكفويّ:

والإنذار اصطلاحا: الإنذار: هو إبلاغ الأمر المخوف منه، والتّهديد (به)، والتّخويف منه، قال: وذكر الوعيد مع الإنذار واجب لا مع التّهديد(١).

قال ابن المناويّ: الإنذار: هو الإعلام بما يحذر، ولا يكاد يكون إلّا في تخويف يسع زمانه الاحتراز (منه)، فإن لم يسع كان إشعارا(٢).

---

(١) الكليات للكفوي أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت سنة النشر: عدد الأجزاء ص، 338 /1).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) (عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م) ص، ٦٤.

المطلب الثالث
تعريف القصة القرآنية

القصة لغةً: (القصة: الخبر، وهو القَصَص، وقصَّ علي خبره يقصه قصا: أورده(١). . ومنه: (القص وهو تتبع الأثر), (والقَصص: الأثر) (والقصص: **الأخبار** المتتبعة(٢). وللقصة معان أُخرى متقاربة، فهي تأتي بمعنى(الخبر), و(الأمر والحديث) و(الجملة من الكلام)(٣). القَصص: الخبر المقصوص، بالفتح، وُضِع موضعَ المصدر حتى صار أغلب عليه, والقِصص, بكسر القاف: جمع القِصة التي تكتب(٤).

فمدلول القصة في اللغة واضح, وواسع, ولكن بعض المُحْدَثين يختار مدلولا للقصة فيه بعض القيود, وهو: (الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من عبرة، فيه شيء من التطويل في الأداء).

---

(١) لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) (دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ) ج، ٧ص، ٧٤.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم حسن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني (دار المعرفة بيروت، لبنان، ص (671) .

(٣) لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) (دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ) ج/٣ ص، ٧٤.

(٤) اللسان (٧٣، ٧/٧٤).

قال ابنُ فارس في فقه اللغة: من سنن العرب القلب وذلك يكونُ في الكلمة ويكونُ في القصَّة فأما الكلمةُ فقولهم: جَبَذَ وجَذَب وبكَل ولَبك وهو كثير. وقد صنَّفَه علماءُ اللغة وليس في القرآن شيءٌ من هذا فيما أظنُّ(١).

القصة اصطلاحاً: أما مفهوم القصة في القرآن الكريم قد تتفاوت فيه وجهات النظر, وذلك نظراً لما في القصة القرآنية من خصائص تميزها عن غيرها؛ من صدقٍ في الواقعية التاريخية, وجاذبيةٍ في العرض والبيان, و(شموليةٍ في الموضوع, وعلوٍ في الهدف, وتنوعٍ في المقصد والغرض, ووضوحٍ في الإعجاز(٢).

فمدلول القصة في القرآن الكريم: هو مدلولها اللغوي مضافاً إليه تلك الخصائصُ والسِمَاتُ التي تميز بها القَصص القرآني على غيره... والله تعالى أعلم.

وللقصة ألفاظ تداخلها في مدلولها كثيراً, النبأ, والخبر, والمَثَل(٣)، ولا يتسع المقام لتفصيل ذلك.

ولهذا ينبغي العناية الخاصة بالقصة وتوضيح ببيان أسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم والجماعات والأفراد، وقد فصّل ذلك تفصيلاً عجيباً، وهو يتحدث عن الترف والطغيان، والبطر والظلم، والاستعباد الفكري والإرهاب والسخرية والرضا بالذل إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة المبثوثة في هذه القصص. وفي

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج، ١، المحقق: فؤاد علي منصور (دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م) ص، ٣٣٧.

(٢) الدعوة إلى الله تعالى، محمد تقي الدين الهلالي (الدار البيضاء، د، ت، ط) ص:(146).

(٣) الدعوة إلى الله تعالى ص (146).

القصص كثير من الحقائق العلمية المتعلقة بالكون، والإنسان، والحياة والأحياء في السماوات والأرض، والتي تزيدها الأيام وضوحاً وظهورا.

فالقصة منسوبة إلى الرب تشريفـــًا وتعظيماً لمكانتها التعليمية كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ... ۝٣ ﴾(١). ولمكانتها العظيمة أمر الله نبيه محمد (ﷺ) أن يقص على الناس ما أوحي إليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿... فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٧٦ ﴾(٢).

وهي مَعلم من مَعالم المعرفـــة والإدراك توضـــح الحقائق وتزيل الشبهات: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦ ﴾(٣).

والقَصصُّة في المفهوم العام كان من مهمات الرسل (b) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٥ ﴾(٤). فالقصة القرآنية صدق كلها لا ينبغي أن يرتاب فيها مرتاب، لأنه إنما ذكر في هذا الكتاب الذي لاريب فيه:

والقصّة في هذا الزمان – كما هي في كل الأزمنة– أفضل وسيلة للتربية والتهذيب. . فعن طريق العرض القصصي لحوادث القصة وأشخاصها، تتفتح أشواق النفس إلى متابعة هذا العرض، وإلى المشاركة الوجدانية، في مواقف القصة، وأحداثها، وأزمانها، حتى لكأن القارئ أو المستمع، أو المشاهد– جزء

(١) سورة يوسف الآية، ٣.

(٢) سورة الأعراف الآية، ١٦٧.

(٣) سورة النمل الآية، ٧٦.

(٤) سورة الأعراف الآية، ٣٥.

منها، وواحد من أشخاصها، يأخذ الموقف الذي يرتضيه لنفسه من بين مواقفها، ويعيش مع كل حدث من أحداثها، متأثرا به، ناظرا إليه، كلما وقف مثل هذا الموقف من الحياة. . إذ لا تنتهي القصة، حتى يكون المستمع لها، أو القارئ أو المشاهد قد عاش في تجربة نفسية، وقطع مرحلة، تطول أو تقصر، حسب طول القصة أو قصرها- مرحلة تترك في كيان الإنسان آثارا عقلية، ووجدانية، وروحية، أشبه بتلك الآثار التي يتركها الصوت على صفحة لوح التسجيل.. بعضها عميق، وبعضها ضحل الغور، حسب قوة الإحساس وضعفه، وتبعا لتلقى القارئ أو السامع، أو المشاهد، وتجاوبه أو تباعده، من القصة(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾(٢).

ما كان غاية في إفادة الصّدق والعجب الباعث على مكارم الأخلاق، الزاجر عن اللوم بنظم سهل منتفع؛ وهو القرآن لتضمنه قصص الأنبياء والأولياء وذكر عاقبة المتقين، وقصارى عمل المفسدين، وقيل: قصة يوسف (عليه السلام) استمالة على حسن تعبير يعقوب، وحسن موعظة يوسف وحسن صبره في حزنه، وحسن تعزيه في مصيبته، وحسن رجائه من الله، وحسن معاشرته فيه حيث لم يهاجرهم ولم ينابذهم، ولاشتماله على حسن صورة يوسف، وحسن رؤياه في صباه، وحسن إمساكه عن زليخا وحسن اختياره السجن، وحسن تعبيره رؤيا الفتيان وحسن صبره في السجن، وحسن تدبيره في ادِّخار الميرة، وحسن كيده في حبس أخيه، وحسن رده على إخوته بضاعتهم، وحسن عفوه عنهم، ولاشتماله على حسن

(١) عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج، ٨ (دار الفكر العربي – القاهرة) ص، ٥٨٥.

(٢) سورة يوسف الآية، ١١١.

اختيار زليخا والنسوة والملك، وحسن توبة إخوة يوسف، وحسن اعترافهم واعتذارهم، وحسن عاقبة الجميع، وحسن ذكر الله إياهم(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ (٢). أي نحن ننبئك خبر هؤلاء الفتية الذين آووا إلى الكهف، خبر صدق لا محل للريبة فيه، وفى هذا إيماء إلى أن نبأهم كان معروفا لدى العرب على وجه ليس بالصدق، ويدل على ذلك قول أمية بن أبى الصّلت:

وليـــــس بها إلا الرقيم مجاورا ** وصيدهمو والقوم في الكهف هجّد(٣)

هذا شروع في تفضيل ما أجمل في قوله إذ أوى الفتية، والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر أي نحن نخبرك بخبرهم (بالحق) أي نقص قصصاً متلبساً بالحق أو نقصه متلبسين به أو نقص نبأهم متلبساً به أو نبأهم المتلبس به(٤). نسبهم إلى الفتوة لما خاطروا بأرواحهم في طلب الحق وآمنوا بالله وكفروا بطاغوت دقيانوس

---

(١) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارســي، دَرْجُ الدُّرر في تَفسـير الآيِ والسُّـوَر، ج، ٨دراسـة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَلِيد بِن أحمد بن صَـالِح الحُسَـيْن، (وشـاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسـي، مجلة الحكمة، بريطانيا (الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) ص، ٩٨٩.

(٢) سورة الكهف الآية، ١٣.

(٣) أحمد بن مصـطفى المراغي، تفسـير المراغي، ج ١٥(شـركة مكتبة ومطبعة مصـطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر١٤٢٩هـــ-٢٠٠٨م) ولم أعصر على المصدر. الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م) ص، ١٢٤.

(٤) أبو الطيب محمد صـــديق خان بن حســـن بن علي ابن لطف الله الحســـيني البخاري القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصـــد القرآن، ج، ٨ بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَـــاري (المَكتبة العصـــريَّة للطبَاعة والنّشْـــر، صَـــيدَا - بَيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ص، ١٨.

فلما تقربوا إلى الله بقدم الفتوة تقرب إليهم بمزيد العناية فأخرجهم من ظلمات النفسانية إلى نور الروحانية فلما تنورت أنفسهم بأنوار أرواحهم اطمأنت إلى ذكر الله وآنست به واستوحشت عن محبة أهل الدنيا وما فيها فأحبوا الخلاء كما كان حال النبي (ﷺ) في بدء الأمر قالت عائشة (رضي الله عنها) أول ما بدئ به (ﷺ) كان حبب إليه الخلاء(١). وبعد عرض القصة وتوضيح جوانب مختلفة فيها نوضح عاقبة المنذَرين من خالف هداية عاقبته وخيمة.

(١) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، روح البيان، ج، ١(دار إحياء التراث العربي، د، ت ط) ص، ٣٣٥

المبحث الثاني

عاقبة المنذرين

قَالَ تَعَالَى: ﴿.... وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾(١) إن المنذرين هم القوم الذين أرسلت إليهم الرسل فكذبوهم واستحقوا العقاب والعذاب، وهذا يشترك فيه الأقوام الثلاثة وهم: قوم نوح ولوط (عليهما السلام) ويهود خيبر. لعل الإنذار خاص للمعرضين أو من يتوقع منهم ذلك.

أرسل الله -تعالى- نبيه نوح (عليه السلام)؛ لينذر قومه، وليحذرهم من عذاب الله يوم القيامة، حيث مكث في دعوته سنين عدداً يدعوهم ويحذرهم من عاقبة المخالفة، وكان قبل قوم نوح، خمسةٌ من الرّجال أجداداً للقوم وهم: ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا، وقد ذكرهن الله تعالى في سورة نوح (عليه السلام) وبعد أن ماتوا، تمّ تصنيع تماثيل لتخلّد ذكراهم؛ ولتكون بمثابة التّكريم لهم، ثمّ بعد انقضاء الوقت، مات للذين قاموا بصنع تلك التّماثيل ونحتها، وأتى بعدهم أبناؤهم، وأبناء أبنائهم، حيث انتهز إبليس هذه الفرصة ليوسوس للناس أن تلك التّماثيل عبارة عن آلهة قادرة على تقديم النفع، وقضاء الحاجات، ودفع الأذى، ممّا دفع النّاس لعبادتها وتقديسها، ثمّ أرسل الله -تعالى- نوحاً ليوضّح للقوم حقيقية الأمر، ويبيّن لهم أنّه لا يوجد إلا إلهاً واحداً فقط يستحقّ العبادة، وأنّ هذه الدّنيا يعقبها موتٌ، وبعثٌ، وجزاءٌ، وأنّ تلك الآلهة التي تعبدونها ما هي إلا آلهةً مزيّفةً، لا تملك لكم ضراً، ولا نفعاً.

ومن ثم قال الله لنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) "فانظر"، يا محمد "كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ" والقوم هم الذين أنذرهم نبي الله نوح (عليه السلام) عذاب الله على عنادهم وكفرهم

(١) سورة يونس الآية، ٧٣.

واستهزائهم وتكذيبهم وعنادهم ومعارضة دعوته وعبادتهم لغيره الله، كالأصنام بغير حق تستحقه هذه الأصنام ومن ثم يقول الرب (ﷻ) لنبيه محمد انظر ماذا أكسبهم و أوردهم وأعقبهم تكذيبهم ومآلهم لرسولهم، فإن هذا اعتبار لمن اعتبر وجزاء من عارض وكابر وأنكر وكذب وأعرض دعوتك من قومك إن أصروا على عنادهم و كفرهم وطغيانهم على خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم، نحو الذي كان من عاقبة قوم نوح حين كذبوه. يقول جل ثناؤه: فليحذروا أن يحل بهم مثل الذي حل، بهم إن لم يتوبوا في الدنيا ويرجعوا إلى جادة الطريق والسعيد من اتعظ بغير والشقي من صار عبرة لغيره.(١).

قال تعالى: {**فكذبوه**} أي دعاهم ليلا ونهارا سرا وعلانية واستمر في دعائهم إلى الله زمنا غير قصير ألف سنة إلا خمسين عاما وكانت النهاية بعد هذه المجهودات النتيجة الاستهزاء والاستهتار والتكذيب مما اضطهره أن دعا لنصرته فأنجاه الله ومن معه من المؤمنين في السفينة وجعلهم خلائف؛ لبعضهم البعض أي يخلف الآخر الأول، وأغرق الله الذين كذبوا بآياته التي أرسل بها عبده نوح (عليه السلام) فانظر يا رسولنا كيف كان عاقبة المنذرين الذين لم يقبلوا النصح ولم يهتدوا ولم يستجيبوا للحق إنها كانت عاقبة وخيمة إذ كانت إغراقا في طوفان ونارا في جهنم وخسرانا مبينا وعذابا وحسرة مستديمة، قال تعالى في سورة نوح: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥ ﴾ (٢).

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، جامع البيان لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري. المحقق أحمد محمد شاكر. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. الناشر: مؤسسة الرسالة. (١٥٣/١٥) ملخصاً.

(٢) سورة نوح الآية، ٢٥.

بيان سوء عاقبة المكذبين بعد إنذارهم وتحذيرهم(١). وبعد الأخذ والعبر والدروس من قصة قوم نوح ينبغي للداعية أن يعتبر ويعتقد أن العاقبة للدعاة إلى الله إذا أحسنوا منهج الدعوة وامتثلوا أمر الله واجتنبوا نواهيه.

ولما قوله تعالى:﴿... فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ ﴾ **وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ خِطَابًا مَعَ الرَّسُولِ (ﷺ) إلَّا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ خِطَابُ الْكُفَّارِ لِأَنَّهُمْ سَمِعُوا بِالْأَخْبَارِ جَمِيعَ مَا جَرَى مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ عَلَى قَوْمِ نُوحٍ وَعَلَى عَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ، فَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا ذَلِكَ فَلَا أَقَلَّ مِنْ ظَنٍّ وَخَوْفٍ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ زَاجِرًا لَهُمْ عَنْ كُفْرِهِمْ..(٢).**

وبعد ما أشار كتاب الله إلى المنذرين الذين أرسلهم الله لإنذار الضالين وهدايتهم، وإلى المنذرين الذين أصروا على ضلالتهم، تصدى لذكر نماذج فريدة في نوعها من كلا الفريقين، مما فيه عبرة وذكرى لكافة المؤمنين، وترويح وتسلية لخاتم الأنبياء والمرسلين(٣).

---

(١) أيسر التفاسير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري. (الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. (٢/ ٤٩٤-٤٩٣).

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج، ٢٦(دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ) ص، ٢٢٦.

(٣) محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ج٥ (دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) ص، ٢٩٧.

المبحث الثالث

مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ

بعث الله رسوله لوط (عليه السلام) إلى أهل سدوم؛ ليقيم عليهم الدين الحق و أن يهديهم الطريق المستقيم، وصدَّر دعوته بالأمر بتقوى الله؛ لأنه رأس ملاك الأمر كله، ثم أخبرهم –كشأن الرسل عليهم صلوات الله أجمعين– أنه رسول أمين، وأنه لا يسألهم أجراً على دعوته لهم إلى الحق المبين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾(١). ثم لوط (عليه السلام) حذرهم عن الفاحشة التي كانوا يأتونها، والتي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، جاء ذلك في عدد من الآيات والتعبيرات القرآنية الرزينة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾(٢).

فعل الفاحشة – اللواط – يساوي للزنا في الإثم وهو "الفاحشة"، ويشابهه في المعنى؛ لأنه محرم شرعا، لا يريده الله شرعا فيجوز أن يتعلق به الحد، والعلة الزجر عن الموضع المشتهى، بل هذا أقبح وأشد حرمة وأفحش، فكان بالعقوبة أولى وأحرى(٣). لو اجمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات لانقطع النسل، ورفع الوجود قريب من قطع الوجود.

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف الآية ٨٠.

(٣) محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير.

محمد المكي الناصري، ج، ٢ (الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) ص، ٢٣٤.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾(١). إنها فاحشة؛ تعملونها بعلمكم وهي لم يسبقكم بها أحد (٢). اْفاحِشَةَ مايشتد قبحه من الذنوب، يعني إتيان الذكران(٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾(٤). المراد في الآية بقطع سبيل هو النسل والسبب هو اعتزال النساء وإتيان الرجال بدلهن(٥). علاوة على الشرْك بِاللَّه. والتَظَالُمٌ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وبَشَاعَةٌ، ومَضَارِيطُ فِي مَجَالِسِهِمْ، وحَذْفٌ، ولَعِبٌ بِالنَّرْدِ والشِّطْرَنْجِ، ولُبْسُ الْمُصَبَّغَاتِ، ولِبَاسُ النِّسَاءِ لِلرِّجَالِ، والْمُكُوسُ عَلَى كُلِّ عَابِرٍ وهُمْ أَوَّلُ مَنْ لَاطَ

(١) سورة النمل الآية ٥٤.

(٢) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن ج، ١٩، المحقق: أحمد محمد شاكر (مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ص، ٤٨١.

(٣) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٤، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي (دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م) ص، ٢٥٨.

(٤) سورة العنكبوت الآية ٢٩.

(٥) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٤، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد (دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ) ص، ٣١٥.

وَمَنْ سَاحَقَ(١). ما ذلك منهم إلا وهم قوم سفهاء جهلة بعظيم حقّ الله عليهم، فخالفوا بذلك أمر الله، والعصيان لرسول الله لوط (عليه السلام)(٢).

وقوم لوط (عليه السلام) من دعوة لوط (عليه السلام) صد وإعراض واستهزاء واستخفاف ووعد وتهديد كما جاء في كتاب الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(٣). وقوله: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾(٤). أي: لئن لم تنته عن ما تدعو إليه وتؤمن به وتأمرنا به وتنهانا عنه، لنخرجنك من بين أظهرنا، ومن بلدنا(٥). ولقد

(١) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير ج، ٨ المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ) ص، ٣٥٤.

(٢) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، ج، ١٩ المحقق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م) ص، ٤٨١.

(٣) سورة الأعراف الآية ٨٢.

(٤) سورة الشعراء الآية ١٦٧.

(٥) أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ج، ٨، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة (الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م) ص، ٥٣٤٤.

أوضح الله في مواطن ومَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الكريم وعلى لسان نبيه أَنَّهُ أَهْلَكَهُمْ فَقَلَبَ بِهِمْ بَلَدَهُمْ، وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ(١).

فهم لم يفعلوا ما فعلوه على استحياء وغفلة من الناس، بل أعلنوا في فاحشتهم، وظاهروا في باطلهم؛ استخفافاً بما جاءهم به لوط (عليه السلام) واستهزاء بالقيم والفضائل والأخلاق؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾(٢). ولوط (عليه السلام) من إعراضهم وصدودهم، تمثل أولاً في الإنكار عليهم، وبيان كراهته وبغضه لهذا العمل الذي يفعلونه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾(٣). الغالين فيما أحل الله أو حرم، بإحلال الحرام وبتحريم الحلال(٤).

يتباهون بأنهم يخرجون كل من يأتي إليهم وتكونن من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا، ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال، فلما رأى أنهم لا يرتدعون عما هم فيه، وأنهم مستمرون على ضلالتهم، تبرأ من عملهم، وسأل الله نجاته، ونجاة أهله من عملهم وكثيراً ما ورد في القرآن

---

(١) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج، ٤، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) ص، ١٦٨.

(٢) سورة الشعراء الآية ١٥٤.

(٣) سورة الشعراء الآية ١٦٨.

(٤) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج، ٢ المحقق: عبد الرزاق المهدي (دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ) ص، ١١٤.

خصوصاً في سورة الشعراء والعدول عن التعبير بالفعل إلى التعبير بالصفة المشتقة، ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع(١). وأنهم خوفوه بأن يقتل بالحجارة فعند ذلك حصل اليأس للوط (عليه السلام).

وليس الغرض منه إخبار الله تعالى بالتكذيب لعلمه أنه عالم الغيب والشهادة ولكنه أراد إني لا أدعوك عليهم لما آذوني وإنما أدعوك؛ لأجلك ولأجل دينك؛ ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أي فاحكم بيني وبينهم(٢).

وَكذالك مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ إِتْيَانِ الذُّكْرَانِ مِنَ الْقَالِينَ الْمُبْغِضِينَ لَهُ، وَالْقَلْيُ: الْبُغْضُ، قَلَيْتُهُ أَقْلِيهِ قَلًا وَقِلَاءً(٣). لمبغضين غاية البغض. أي فأنا أرغب في الخروج عن دياركم، والراحة من مجاورتكم، لبغضي لعملكم، الآيل بكم إلى الدمار وخراب الديار(٤). أي المبغضين له بغضا شديدا، يقال قلى فلان الأمر أبغضه بغضا شديدا

---

(١) محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج، ٢٠ إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي (دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م) ص، ٣٢٠.

(٢) الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهلمة فخر للدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب، ج، ٢٤ دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) ص، ١٣٤.

(٣) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، ج، ٤ (دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ) ص، ١٣١.

(٤) محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، ج٧، المحقق: محمد باسل عيون السود (دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ) ص، ٤٧١.

وعافه وقدم الجار والمجرور لعظيم النفرة من عملهم، وقد أشار إلى أن الناس جميعا يبغضون ذلك؛ لأنه مناف للفطرة، بقوله: (مِنَ الْقَالِينَ) أي المبغضين له بغضا شديدا، أي اجعلني في تعداد الناس الذين استقبحوه ونفروا منه. ولقد علم عقبى فعلهم، والأثر السيئ الذي يعقبه،(١).

ولوط (عليه السلام) يدعو ربه أن ينجيه من القوم الظالمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾(٢). وهذا بعد أن أقام يدعوهم ويتحمل سنين عديدة فلم يجد بداً من الفزع إلى ربه ليخلصه منهم من عقوبة وعذاب ما يعملونه من إتيان الفاحشة من العالمين(٣).

رب نجني وأهلي من عمل ما يعملون من الخبائث(٤).

جاهد لوط (عليه السلام) أن يصرف قومه عن الفاحشة التي يرتكبونها بدعوتهم إلى الزواج من النساء التي خلقها الله لأجل ذلك، وهذا ما نقرأه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿... قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ

(١) حمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، ١٠ (دار النشر: دار الفكر العربي) ص، ٥٣٩٨.

(٢) سورة الشعراء الآية ١٦٩.

(٣) جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج، ٣ (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص، ٦٧٧.

(٤) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ج، ٨ المحقق: د. مجدي باسلوم (دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م) ص، ٨١.

رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾(١). يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر(٢). **أحدهما:** المؤمن. **والثاني:** الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ويجوز أن يكون الرشيد بمعنى المرشِد، فيكون المعنى: أليس منكم مرشِد يعظكم ويعرفكم قبيح ما تأتون؟ فيكون الرشيد من صفة الفاعل، كالعليم، والشهيد. ويجوز أن يكون الرشيد بمعنى المرشَد، فيكون المعنى: أليس منكم رجل قد أسعده الله بما منحه من الرشاد يصرفكم عن إتيان هذه المعرَّة؟ فيجري رشيد مجرى مفعول، كالكتاب الحكيم بمعنى المحكم(٣).

مرشداً صالحاً يزجركم عن هذا الأمر. ويقال: رجل عاقل، ويقال: رجل على الحق يستحي مني. قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ يعني: من حاجة، يقولون: ما لنا في النساء من حاجة وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ إنما نريد(٤). قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾(٥).

---

(١) سورة هود الآية ٧٨.

(٢) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج، ١، تحقيق: صفوان عدنان داوودي (دار دار القلم , الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ) ص، ٥٢٨.

(٣) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج، ٢المحقق: عبد الرزاق المهدي (دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ) ص، ٢٩٠.

(٤) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي. بحر العلوم، ج، ٢، ص، ١٦٤

(٥) سورة هود الآية ٧٩.

والبنات– في هذه الآية المراد بها نساء القوم؛ فإن أي نبي بمنزلة الولي لأمته. يدلهم ويرشدهم إلى ما ينفعهم ويوافق طبيعة البشر فالأوفق زواج النساء فأبو، وقد ذكر المفسرون أن رجالهم كانوا قد استغنى بعضهم ببعض، وكذلك نساؤهم كن قد استغنى بعضهن ببعض أيضاً. وهذا الوضع الشاذ يؤدي عند استفحال عدواه إلى رفض الذكور للزواج، اكتفاء بأمثالهم، ويتبعه في نفس الوقت – بصورة آلية – اكتفاء الإناث بأمثالهن، فلا يبقى أي حافز يحفز على الزواج وتأسيس الأسرة، لا بالنسبة للرجال ولا بالنسبة للنساء، وبذلك يقع القضاء التام على ملكة الإخصاب والإنجاب، لأنها لا تؤدي دورها إلا عند تزاوج الذكور والإناث، فيتوقف النسل في البداية، ثم ينقطع النسل في النهاية، وهكذا يتعرض المجتمع البشري – متى انتشرت فيه هذه العدوى وسادت العلاقات الجنسية – للاختلال والانحلال، ويتعرض النوع الإنساني تدريجيا في مختلف الأقطار للفناء والانقراض، وذلك خلاف مراد الله ونقيض حكمته، من حمل الإنسان للأمانة والجلوس على عرش خلافته(١).

تخلل هذا الحدث القصصي إرسال الله سبحانه عدداً من الملائكة لطمأنة لوط (عليه السلام)، وتثبيته على موقفه، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾(٢). أَنَّ لُوطًا عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَمَّا جَاءَتْهُ رُسُلُ رَبِّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَصَلَتْ لَهُ بِسَبَبِ مَجِيئِهِمْ مَسَاءَةٌ عَظِيمَةٌ ضَاقَ صَدْرُهُ بِهَا، وَأَشَارَ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ إِلَى أَنَّ سَبَبَ مَسَاءَتِهِ وَكَوْنِهِ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا، وَقَالَ هَذَا

(١) محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ج٤ (دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) ص، ٤٤٧.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٣٣.

يَوْمٌ عَصِيبٌ: أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُمْ ضُيُوفٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، كَمَا ظَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ (عليه السلام)، وَظَنَّ أَنَّ قَوْمَهُ يَنْتَهِكُونَ حُرْمَةَ ضُيُوفِه فَيَفْعَلُونَ بِهِمْ فَاحِشَةَ اللِّوَاطِ ; لِأَنَّهُمْ إِنْ عَلِمُوا بِقُدُومِ ضَيْفٍ فَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا بِهِ لِيَفْعَلُوا بِهِ الْفَاحِشَةَ الْمَذْكُورَةَ[1].

ضاق بمكانهم صدرُه أو قلبُه أو وسعُه وطاقتُه وهو كنايةٌ عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسُه عن هذا الحادث وذكرُ الذرعِ مثلٌ وهو المساحة وكأنه قدْرُ البدنِ مجازاً أي إن بدنَه ضاق قدرُه من احتمال ما وقع وقيل الذراعُ اسمٌ للجارحة من المرْفق إلى الأنامل والذرْعُ مدُّها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بِهِمْ ذَرْعًا قصرُها كما أن معنى سعتِها وبسطتها طولُها ووجهُ التمثيلِ بذلك أن القصيرَ الذراعِ إذا مدها ليتناول ما يتناول الطويلُ الذراعِ تقاصر عنه وعجز عن تعاطيه فضُرب مثلاً للذي قصُرت طاقتُه دون بلوغِ الأمر[2].

وقد أنكر هذا الوفد السماوي عمل أهل هذه القرية، ووصفوه بالظلم الذي يستوجب العذاب الأليم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[3].

---

(١) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج، ٢ (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) ص، ١٧٨.

(٢) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج، ٤ دار إحياء التراث العربي – بيروت، د، ت، ط) ص، ٢٢٨.

(٣) سورة العنكبوت الآية ٣٤.

أنزلنا ونزّلنا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ هي الحجارة بِما كانُوا يَفْسُقُونَ يعني: يعصون الله (ﷻ)(١).

عَنْ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَخُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ قَالُوا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): الطَّاعُونُ رِجْزٌ عَذَابٌ، عُذِّبَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ.

بيان عاقبة المعرضين عن هدي السماء، والمستخفين برسالة الأنبياء، كما أخبر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾(٢). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾(٣). حجارة صلبة، أو مطبوخة، حتى صارت كالأرحاء، أو من جهنم واسمها سجين فقلبت النون لاماً، أومن السماء واسمها سجيل، أو من السجل وهو الكتاب كتب الله – تعالى – عليها أن يعذب بها، أو سجيل مرسل من السجل وهو الإرسال أسجلته أرسلته، والدلو سجيل لإرساله، أو من السجل وهو العطاء سجلت له سجلاً من العطاء كأنهم أعطوا البلاء إذراراً، أو فارسي معرب من سنك وهو الحجر وكل وهو الطين(٤).

---

(١) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، ج، ٢ ص٦٣٢.

(٢) سورة هود الآية ٨٢.

(٣) سورة الحجر الآية ٧٤.

(٤) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) ج، ٢ المحقق: للدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي (دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ص، ٩٩.

وقد بين سبحانه أن حكمته قد اقتضت أن يجعل عاقبة هؤلاء الظالمين باقية بعدهم؛ لتكون عبرة وعظة لغيرهم، فقال عز من قائل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾(١). وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء. يقال: توسمت في فلان كذا، أي عرفت وسمه فيه(٢).

وسنة الله الجارية في صراع الحق والباطل، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، فقد نجَّا الله سبحانه لوطاً (عليه السلام) والذين آمنوا معه،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾﴾(٣)، وينبغي التفكر والتدبر في عاقبة المعرضين عن هدي السماء، والمخالفين لسنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهو ما عبرت عنه الآيات التالية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾(٤).

وأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً يعني الحجارة فَساءَ يعني فبئس مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ يعني الذين أنذروا بالعذاب خسف الله بقرى قوم لوط وأرسل الحجارة على من كان خارجا من القرية(٥).

---

(١) سورة الحجر الآية ٧٥.

(٢) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج، ٢ (دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ) ص، ٥٨٦.

(٣) سورة الشعراء الآية ١٢٠.

(٤) سورة الأعراف الآية ٨٤.

(٥) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٣، المحقق: عبد الله محمود شحاته (دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ) ص، ٢٧٧.

وفي هذه الآيات ونحوها تعريض بمن تمر عليهم العبر والعظات، والأدلة الدالة على وحدانية الله، وكمال قدرته، فلا يعتبرون ولا يتعظون، ولا يتفكرون فيها؛ لانطماس بصائرهم، واستيلاء الأهواء والشهوات على نفوسهم. تضمنت قصة لوط (عليه السلام) في القرآن الكريم -كغيرها من قصص القرآن- العديد من العبر والعظات.

إن مهمة المسلم الداعية هي الدعوة إلى تقوى الله، والأخذ بالأساليب الحكيمة لإخراج الناس مما هم فيه من فساد وضلال، وأن يكون عمل الداعية ليس تحصيلاً لأجر أو كسباً لسمعة، بل الالتزام بأمر الله في الدعوة إلى دينه الحق، وإخراج الناس من حمأة الظلمات. إن لوطاً (عليه السلام) على الرغم من قوة إيمانه، وعلو همته، وعظيم غيرته، تمنى أن تكون له قوة باطشة، تردع قومه عن منكرهم، وتردهم عن باطلهم. وأنه لا بأس على المسلم أن يستعين بغيره لنصرة الحق الذي يدعو إليه، ولخذلان الباطل الذي ينهى عنه، وهذا ما يفهم(١).

وصف القرآن الكريم قوم لوط (عليه السلام) لفعلهم الشنيع بأوصاف ثلاثة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾(٢). بل أنتم مسرفون فيه باختياركم وقدرتكم. وقيل: جواب كلامهم: نحن نريد بذلك حفظ الأموال وخفّة العيال(٣).

---

(١) سورة هود الآية ٩١.

(٢) سورة الأعراف الآية ٨١.

(٣) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، ج١. =

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾(١).

يَقُولُ: "تَرَكْتُمْ أَقْبَالَ النِّسَاءِ إِلَى أَدْبَارِ الرِّجَالِ، وَأَدْبَارِ النِّسَاءِ"(٢). من تبيين لما خلق أو تبعيض والامراد بم خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل على تحريم أدبار الزوجات والمملوكات ومن أجازه فقد أخطأ خطأ عظيما(٣).

ظالمون معتدون الحلال إلى الحرام، والطاعة إلى المعصية(٤).

إن العزيز يخبر عـــن معاصي قوم لوط بأنه أهلكهم بها، الصغير والكبير،

=محقق القســم الأول: طلعت صــلاح الفرحان، محقق القســم الثاني: محمد أديب شــكور أمرير(دار الفكر – عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـــ – ٢٠٠٩م) ص، ٦٧٧.

(١) سورة الشعراء الآية ٦٦.

(٢) أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشـــي المخزومي، تفســير مجاهد، ج، ١ تحقيق: الدكتور محمد عبد الســلام أبو النيل، (دار الفكر الإســلامي الحديثة، مصــر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـــ – ١٩٨٩م) ص، ٥١٣.

(٣) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النســفي، تفســير النســفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ج، ٢ حققه وخرج أحاديثه: يوســف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، (دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـــ – ١٩٩٨م) ص، ٥٧٨.

(٤) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، الوسيط في تفســير القرآن المجيد، ج، ٣. تحقيق وتعليق: الشــيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشــيخ علي محمد معوض، للدكتور أحمد محمد صـــيرة، للدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأســتاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـــ – ١٩٩٤م) ص، ٣٦١.

لسكوت مجملهم الفاعل والراضي(١). إن لوط (عليه السلام) أنكر على قومه ما ابتدعوه دون بقية الأمم من الانحراف والشذوذ، والخروج على كل ما هو متعارف بين البشر ومعهود، فقد خلق الله الذكر والأنثى ليكمل بعضهما بعضا، لا ليستغني أحدهما عن الآخر فيبطل حكمة الله ويرفض حكمه رفضا، إذ في ذلك ما فيه من ضياع النسل وانقطاع الذرية، وتعطيل الحكمة الإلهية، وكفى بهما بلية وأي بلية،(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾(٣).

والشهوة إذا ترك لها العنان تصبح مجموعة من الجهل الذي يَشْمَلُ الْجَهْلَ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْعِلْمِ، وَالْجَهْلَ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى السَّفَهِ وَالطَّيْشِ. والجهل بعدم معرفة العواقب وَمَجْمُوعُ الْآيَاتِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مُرْتَزِئِينَ بِفَسَادِ الْعَقْلِ وَالنَّفْسِ، بِجَمْعِهِمْ بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالْعُدْوَانِ وَالْجَهْلِ، فَلَا هُمْ يَعْقِلُونَ ضَرَرَ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ فِي الْجِنَايَةِ عَلَى النَّسْلِ وَعَلَى الصِّحَّةِ وَعَلَى الْفَضِيلَةِ وَالْآدَابِ الْعَامَّةِ وَلَا غَيْرِهَا مِنْ مُنْكَرَاتِهِمْ – فَيَجْتَنِبُوهَا أَوْ يَجْتَنِبُوا الْإِسْرَافَ فِيهَا – وَلَا هُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَيَاءِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ يَصْرِفُهُمْ عَنْ ذَلِكَ(٤).

---

(١) محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ج، ٢ (دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) ص، ٣٩١.

(٢) محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ج، ٤ (دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) ص، ٢٣٤.

(٣) سورة النمل الآية ٥٥.

(٤) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، تفسير القرآن الحكيم –تفسير المنار، ج، ٨ (الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٠م) ص ٤٥٤.

أي أينبغي أن تغيروا الطبيعة بأن تأتوا الرجال وتقودكم الشهوة والجهل إلى هذا الفعل القبيح وتذروا النساء اللاتي فيهن محاسن الجمال، ومواضع الحرث، ومكامن المودة وفيهن مباهج الرجال، إنكم لقوم جاهلون سفهاء حمقى(١).

هذه هي الفاحشة التي يأتيها القوم جهرة على أعين الناس، وهي «اللواط» واتصال الرجل بالرجل، كما يتصل الرجل بالمرأة، والذكر بالأنثى في عالم الحيوان..وفي قوله: (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ...) إشارة إلى أن هذا الضلال الذي هم فيه، وهذه الحيوانية الطاغية التي لبستهم، إنما هي من واردات الجهل.. وليس بين الإنسان والحيوان من فرق، إلا العلم، وأنه بقدر ما يحصّل الإنسان من العلم، بقدر ما تكون منزلته في الإنسانية، وبقدر ما يكون بعده عن عالم الحيوان...(٢).

وقد وصفهم الله -تعالى- بصفات قبيحة.

أولا: صفة العدوان على حدود الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾(٣).

ثانيا: صفة الجهل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾(٤).

---

(١) أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج، ١٩(شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م) ص، ١٥٠.

(٢) عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج، ١٠ دار الفكر العربي - القاهرة، د، ت، ط) ص، ٢٥٧.

(٣) سورة الشعراء الآية، ١٦٥-١٦٦.

(٤) سورة النمل الآية، ٥٥.

ثالثا: صفة الإسراف في الشهوات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾(١).

رابعا: صفة قطع السبيل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ...﴾(٢).

خامسا: صفة إتيان المنكر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾(٣).

قال شيخ الإسلام (رحمه الله) عن قوم لوط: "وكانوا كفاراً من جهات؛ من جهة استحلال الفاحشة، ومن جهة الشرك، ومن جهة تكذيب الرسل؛ ففعلوا هذا وهذا، ولكن الشرك والتكذيب مشترك بينهم وبين غيرهم، والذي اختصوا به الفاحشة، فلهذا عوقبوا عقوبة تخصهم، لم يعاقب غيرهم بمثلها، وجعل جنس هذه العقوبة هو الرجم"(٤). ومجمل هذه الأوصاف تدل على أنهم كانوا مصابين بفساد العقل، وانحراف الفِطَر، وتجاوز الحدود التي ترتضيها النفوس. وهذا يفيد أن النفوس البشرية عندما تنتكس وترتكس، تصل في مجاهرتها بإتيان الفواحش إلى ما لم تصل إليه بعض الحيوانات.

هذا هو حال قوم لوط (عليه السلام) وبعد ذلك نبسط الحديث عن يهود خيبر.

---

(١) سورة الأعراف الآية، ٨١.

(٢) سورة العنكبوت الآية، ٢٩.

(٣) سورة العنكبوت الآية، ٢٩.

(٤) النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي للدمشقي، النبوات، ج، ١، تحقيق، عبد العزيز بن صالح الطويان (أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ص، ٢١٢.

المبحث الرابع
صباح المنذرين

والصبح هو وقت الهجمة على الغافل الذي لم يغادره النوم بعد.

والصباح مستعمل في ورود الغارات والرزايا، ومقصد النذر التهديد بعذاب يحل بهم بعد أن أنذروا، فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيل بقوم أنذرهم ناصح بأن جيشا يحل بهم فلم يقبلوا نصحه، حتى جاءهم الجيش وأهلكهم(١).

فإذا نزل العذاب بهؤلاء المشركين، فبئس الصباح صباحهم. ولن ينفعهم حينئذ ندم أو توبة، وخص الصباح بالذكر، لأن العذاب كان يأتيهم فيه في الغالب.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، أن رسول اللَّه (ﷺ) حِينَ خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ، أَتَاهَا لَيْلًا، وَكَانَ إِذَا جاء قَوْمًا بِلَيْلٍ، لَمْ يُغِرْ حَتَّى يُصْبِحَ، قال: فلما أصبح خَرَجَتْ يَهُودُ بِمَسَاحِيهَا، وَمَكَاتِلِهَا، فَلَمَّا رَأَوْهُ، قَالُوا: مُحَمَّدٌ، وَاللَّهِ مُحَمَّدٌ، وَالْخَمِيسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ(٢) أي بئس صباحهم من صباح إنه صباح هلاكهم ودمارهم(٣).

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله (ﷺ) الصُّبْحَ بِغَلَسٍ، ثُمَّ قَالَ: "اللهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ". قَالَ: فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي

---

(١) أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل ج، ٢ المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي (شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ) ص، ٢٠٠.

(٢) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، موطأ الإمام مالك، ج، ١المحقق: بشار عواد معروف – محمود خليل (مؤسسة الرسالة، ١ ١٤١هـ) ص، ٣٧٨.

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٤/٤٣٤-٤٣٣).

السِّكك وَهُمْ يَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ. قَالَ: فَظَهَرَ رَسُولُ الله (ﷺ) عَلَيْهِمْ فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ، وَصَارَتْ صَفِيَّةُ لِدِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى رَسُولِ الله (ﷺ) بَعْدُ، فَتَزَوَّجَهَا وَجَعَلَ صَدَاقَهَا عِتْقَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَنْتَ سَأَلْتَ أَنَسًا مَا أَمْهَرَهَا؟ فَقَالَ لَكَ أَنَسٌ: "أَمْهَرَهَا نَفْسَهَا" فَضَحِكَ ثَابِتٌ وَقَالَ: نَعَمْ(١).

وقوله: (فإذا نزل بساحتهم) يقول: فإذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب. العرب تقول: نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة، وذلك إذا نزل به; والساحة: هي فناء دار الرجل، (فساء صباح المنذرين) يقول: فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم فلم يصدقوا به. عن السدي، في قوله (فإذا نزل بساحتهم) قال: بدارهم، (فساء صباح المنذرين) قال: بئس ما يصبحون(٢).

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ: فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ، وَإِنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَوُا النَّبِيَّ (ﷺ) قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، قَالَ: فَلَمَّا رَآهُمْ رَسُولُ الله (ﷺ) قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ {فَسَاءَ صَبَاحُ

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج، ٣٠ المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون د عبد الله بن عبد المحسن التركي (مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م) ص، ٢٧١.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢١/ ١٣٣-١٣٢).

الْمُنْذَرِينَ}.

قَالَ النَّوَوِيُّ: فيه اسْتِحْبَابُ التَّكْبِيرِ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَفِيهِ جَوَازُ الِاسْتِشْهَادِ فِي مِثْلِ هَذَا الشَّأْنِ بِالْقُرْآنِ فِي لِلْأُمُورِ الْمُحَقَّقَةِ، وَقَدْ جَاءَ لَهُ نَظَائِرُ؛ مِنْهَا عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَطَعْنِ الْأَصْنَامِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾(١).

قَالَ الْعُلَمَاءُ، وَيُكْرَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ عَلَى سَبِيلِ ضَرْبِ الْمَثَلِ فِي الْمُحَاوَرَاتِ وَلَغْوِ الْحَدِيثِ تَعْظِيمًا لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. قُلْتُ: بَلْ صَرَّحَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا بِكُفْرِ مَنْ وَضَعَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى مَوْضِعَ كَلَامِهِ بِأَنْ خَاطَبَ شَخْصًا مُسَمًّى بِيَحْيَى مُنَاوِلًا لَهُ بِكِتَابٍ. وَقَالَ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾(٢).

وَكَذَا وَضْعُ بِسْمِ اللَّهِ مَوْضِعَ كُلِّ ذَا دَخَلَ وَنَحْوُهُمَا، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ﴾ فَلَيْسَ مِنْ بَابِ الِاسْتِشْهَادِ بَلْ مِنْ بَابِ الِامْتِثَالِ. وَكَذَا مَنْ قَالَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾(٣).

وَنَحْوِهِ بَلْ يُسْتَحَبُّ لَهُ ذَلِكَ (وَإِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ) قَالَ الطِّيبِيُّ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ بَيَانٌ لِمُوجِبِ خَرَابِ خَيْبَرَ وَقَوْلُهُ لِلَّهِ أَكْبَرُ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ مِنْ أَنه تعالى قدر نزوله بساحتهم بعد ما أنذروا أثم أَصْبَحَهُمْ وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْ ذَلِكَ وَفِي شَرْحِ مُسْلِمٍ السَّاحَةُ الْفَضَاءُ وَأَصْلُهَا الْفَضَاءُ بَيْنَ الْمَنَازِلِ (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ) بِفَتْحِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ أَيِ الْكُفَّارِ وَاللَّامُ لِلْعَهْدِ أَيْ بِئْسَ صَبَاحُهُمْ لِنُزُولِ عَذَابِ اللَّهِ بِالْقَتْلِ

(١) سورة الإسراء الآية، ٨١.

(٢) سورة مريم الآية، ١٢.

(٣) سورة طه الآية، ١١٤.

وَالْإِغَارَةِ عَلَيْهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا وَفِيهِ اقْتِبَاسٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾(١).

صباح سوء لبني قتيرة ** وللأمير من بني المغيرة

وجعل راجز المسلمين زياد بْن دينار يرد عليهم:

لا توعدونا واصبروا حصيره ** نحن خيول ولد المغيره

وفي الصباح تظفر العشيره(٢).

يعني: المهاجر بن أبي أمية. و (المنذرين) اسم مفعول من أنذره، إذا أعلمه بأمر يخاف منه في وقت يستطيع أن ينجو منه(٣). وعلى الداعية أن يعتبر بسنن الغابرين مما أصابهم من العذاب والهلاك فيدعو لينجو ولينجي الله به وبعد الاسهاب في قصة خيبر ننتقل إلى أوجه الشبه بين الأقوام الثلاث.

١ / سورة الصافات الآية، ١٧٦-١٧٧

٢ /الطبري/ تأريخ الرسل والملوك، ج، ٣ مكتبة الفقاهة ص، ٣٣٦

٣ شرح سنن النسائي المسمى شروق أنوار المنن الكبرى الإلهية بكشف أسرار السنن الصغرى النسائية لمحمد المختار بن محمد بن أحمد مزيد الجكني الشنقيطي. الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ. الناشر: مطابع الحميضي (٤/ ١١٩٩)

المبحث الخامس

أوجه التشابه بين الأقوام الثلاثة

إن هذه الآيات كلها من السور المكية. ومعلوم أن من خصائص السور المكية الإخبار عن أحوال الأمم السابقة والأحداث التي جرت بين تابعي الرسل (b) ومخالفيهم وبيان عاقبة كل منهم وذلك تسلية لرسول الله (ﷺ) وتثبيتا لقلوب المؤمنين وتحذيرا للكفار المعاندين. وأيضا كثيرا ما يقارن القرآن الكريم المخالفين والمعاندين من هذه الأمة بأشباههم من الأمم السابقة.(١) ومن أوجه التشابه بين الأقوام الثلاثة المنذرين، قوم نوح وقوم لوط ويهود خيبر.

أولا: الأعداد الخماسية: تكررت كلمة (المنذرين) خمس مرات

(أ) عدد أصنام قوم نوح خمسة: وَدًّا و سُوَاعًا و يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا. قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾** ﴾(٢). وَدٌّ وَسُوَاعٌ وَيَغُوثُ وَيَعُوقُ وَنَسْرٌ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ كَانَ لِآدَمَ (عليه السلام) خَمْسَةُ بَنِينَ وَدٌّ وَسُوَاعٌ وَيَغُوثُ وَيَعُوقُ وَنَسْرٌ وَكَانُوا عُبَّادًا، فَمَاتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَحَزِنُوا عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا فَجَاءَهُمُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ:

---

(١) جعفر شرف الدين ، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، ج، ٣، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠هـ) ص، ٥.

(٢) سورة نوح الآية، ٢٣.

حَزِنْتُمْ عَلَى صَاحِبِكُمْ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أُصَوِّرَ مِثْلَهُ فِي قِبْلَتِكُمْ إِذَا نَظَرْتُمْ إِلَيْهِ ذَكَرْتُمُوهُ؟ فَقَالُوا: لَا نَكْرَهُ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا فِي قِبْلَتِنَا شَيْئًا نُصَلِّي إِلَيْهِ قَالَ: فَأَفْعَلُهُ فِي مُؤَخَّرٍ(١). وقالوا هذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصناماً، فالعكوف على القبور، والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها، هو أصل الشرك وعبادة الأوثان، ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي (ﷺ) أو قبر غيره من الأنبياء الصالحين، فانه لا يتمسح به ولا يقبله، وليس في الدنيا ما شرع تقبيله إلا الحجر الأسود، ولما كان دعاء الرسل (b) جديراً بالقبول لما لهم من الجلالة والحلاوة والبيان والرونق والظهور في الفلاح ومع ذلك لا ينبغي الاستغاثة بهم(٢).

إن اتخاذ القبور أعياداً من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد فمن ذلك الصلاة إليها، والطواف بها وتقبيلها، واستلامها وتعفير الخدود على ترابها، والاستغاثة بأصحابها وسؤالهم الرزق، والنصر والعافية وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللفهات وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأصنام يسألونها

---

(١) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، العظمة، ج، ٥، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري (دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ) ص، ١٥٩٠.

(٢) برهان للدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم للدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ج، ٨ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م) ص، ١٧٤.

أوثانهم، وهذا هو عين الشرك الأكبر الذي بعث الله ورسوله (ﷺ) ينهي عنه، ويقاتل أهله ومن مات عليه كان من أهل النار عياذا بالله من ذلك.(١).

(ب) عدد قرى قوم لوط المهلَكة خمسة. فأهلكها الله تعالى وما حولها من المؤتفكات، وكن خمس قريات: صبعة، وصعرة، وعمرة، ودوما، وسدوم هي القرية العظمى(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾(٣).

(ج) عدد حصون أهل خيبر خمسة – (حصونهم الكبيرة المنيعة وإلا عددها ثمانية)– وهي: ناعم, القموص, الصعب, الوطيح,السلالم(٤). عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) أَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ الصِّدِّيقَ بِرَايَتِه إِلَى بَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ , فَقَاتَلَ, فَرَجَعَ وَلَمْ يَكُ فَتْحاً, وَقَدْ جُهِدَ, ثُمَّ بَعَثَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ الْغَدَ فَقَاتَلَ ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَكُ فَتْحاً وَقَدْ جُهِدَ, فَقَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ): «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ لَيْسَ بِفَرَّارٍ», قَالَ

(١) حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي التميمي الحنبلي، مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى ج، ١ (دار تقيف للنشر والتأليف، الطائف، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ) ص، ٢١٥.

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (١/ ٣٠٧), المنتظم في التاريخ (٢٨٤/١), الكامل في التاريخ (١٠٨/١).

(٣) سورة هود الآية ٨٢.

(٤) السيرة النبوية على ضوء الكتاب والسنة,محمد سويلم أبو شبهة(٤١٦/٢-٤١٧), السيرة النبوية الصحيحة, أكرم ضياء العمري (٣٢٢/١-٣٢٦), السيرة النبوية, راغب السرجاني (١٤/٣٤).

سَلَمَةُ: فَدَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب , وَهُوَ أَرْمَدُ , فَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ: " خُذْ هَذِه الرَّايَةَ فَامْضِ بِهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ قَالَ: يَقُولُ سَلَمَةُ: فَخَرَجَ بِهَا وَاللَّهِ يُهَرْوِلُ هَرْوَلَةً وَأَنَا خَلْفَهُ أَتَتَبَّعُ أَثَرَهُ حَتَّى رَكَزَ رَايَتَهُ فِي رَضْمٍ مِنْ حِجَارَةٍ تَحْتَ الْحِصْنِ , فَاطَّلَعَ إِلَيْهِ يَهُودِيٌّ مِنْ رَأْسِ الْحِصْنِ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ "عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب , قَالَ: يَقُولُ الْيَهُودِيُّ: عَلَيْتُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى , أَوْ كَمَا قَالَ: فَمَا رَجَعَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ (ﷻ) عَلَى يَدَيْهِ"(١).

ثانيا: التطابق بين الأقوام الثلاثة

الكفر والتكذيب والعناد والتكبر والتعالي على الرسل الكرام (b) والتهديد بالقتل والتشريد, ومحاولة الإغتيال. والآيات في ذلك واضحة وبينة.

(أ) قـــوم نوح (عليه السلام) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾(٢).

أَيْ: من المشتومين وقيل: من المقتولين(٣).

(ب) قوم لوط (عليه السلام) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(٤).

---

(١) القاضـي أبو يعلى، محمد بن الحسـين بن محمد بن خلف ابن الفراء، الأحكام السـلطانية للفراء، ج، ١، صـــحححه وعلق عليه : محمد حامد الفقي (دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة : الثانية، ١٤٢١هـــ – ٢٠٠٠م) ص، ٢٠٠.

(٢) سورة الشعراء الآية، ١١٦.

(٣) الوجيز للواحدي (ص: ٧٩٣).

(٤) سورة الأعراف الآية، ٨١.

(ج) يهود خيبر. ومن أفعلهم الخبيثة خياناتهم المتكررة، وتأليبهم القبائل العربية على حرب المدينة المنورة، ومحاولاتهم المستمرة لاستئصال أهل المدينة المنورة، واغتيال الرسول (ﷺ) كل ما ينطبق على اليهود ينطبق على أهل خيبر لأنهم من جنس اليهود.

ثالثا: زمن هلاك الأقوام الثلاثة

(أ) قوم نوح (عليه السلام) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾(١).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب (رضي الله عنه): التَّنُّورُ: فَلَق الصُّبْحِ، وتَنْوِيرُ الْفَجْرِ، وَهُوَ ضياؤه وإشراقه. وعَنْه عَلِيٍّ فِي قَوْلِه: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قال: تنوير الصبح(٢).

(ب) قـــــــوم لـــوط (عليه السلام) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ ﴾(٣).

ثابتٌ لأنَّه أفضى بهم إلى عذاب الآخرة(٤).

---

(١) سورة المؤمنون الآية، ٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٣٢٠)، الطبري (٣١٩/١٥) تفسير ابن أبي حاتم – محققا (٦/ ٢٠٢٨): وهو الوجه الثاني من أوجه ستة ذكرها المصنف. وكلهم ينتهي سندهم إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

(٣) سورة القمر الآية، ٣٨.

(٤) الوجيز للواحدي (ص: ١٠٤٩).

(ج) أهـل خيبر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾(١).

وفي حديث أَنَس (رضي الله عنه) **قَالَ:** صبَّحَ النَّبيُّ (ﷺ) خَيْبَرَ، وقَدْ خَرَجُوا بِالْمَسَاحِي عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا مُحَمَّدٌ، وَالْخَمِيسُ مُحَمَّدٌ، وَالْخَمِيسُ، فَلَجَئُوا إِلَى الحِصْنِ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ (ﷺ) يَدَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ"(٢).

رابعا سبب العذاب:

أما السبب الرئيسي للعذاب هو الكفر والإعراض وأما السبب المباشر هو الماء فالماء مادة العذاب. إما بتكثير الماء أو قطعه عنهم, أو إقتران الماء بغيره.

(أ) قوم نـــــوح (عليه السلام) أهلكـــوا بالطوفان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(٣).

(ب) قوم لوط (عليه السلام) بعد قلب الأرض عليهم أتبعوا بالحجارة ثم المطر فتكون منه البحر الميت فـــي الأردن. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾(٤).

(ج) أهل خيبر. من ضمن أسباب الانتصار عليهم أن النبي (ﷺ) قطع عنهم عيون الماء التي كانوا يسقون منها. جاء يهودي إلى الرسول (ﷺ) وطلب الأمان،

---

(١) سورة الصافات الآية، ١٧٦-١٧٧.

(٢) صحيح البخاري (٤/ ٥٦).

(٣) سورة العنكبوت الآية، ١٤.

(٤) سورة الشعراء الآية، ١٧٣.

ثم قال له: يا أبا القاسم! إنك لو أقمت شهراً ما بالوا، إن لهم شراباً وعيوناً تحت الأرض، يخرجون بالليل ويشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك(١). فقطع (ﷺ) الماء عن اليهود، فخرجوا وقاتلوا أشد القتال حتى انتصر المسلمون، وافتتحت قلعة الزبير(٢).

خامسا: دور المرأة في الكفر ومساندة الفساد

(أ) امرأة نوح. ذُكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه مجنون(٣).

(ب) امرأة لوط (عليه السلام). أن خيانة امرأة لوط، أن لوطًا كان يُسِرّ الضيف، وتَدُلّ عليه..(٤).

(ج) اليهودية التي أهدت للنبي (ﷺ) الشاة المسمومة واسمها زينب بنت الحارث. بعد أن أمّنها (ﷺ) ولكنها خانت الأمانة غدرت العهد ولم تعترف بالجميل؛بوضعها السمّ في طعامه (ﷺ) فعفى عنها بالبداية إلا أنها قتلت في الأخير قصاصاً للصحابي الذي مات على ذلك السمّ وهي الوحيدة التي قتلت من نساء خيبر(٥).

سادسا: ابتكار المعاصي

---

(١) السيرة النبوية – راغب السرجاني (٣٤/ ١٢، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) أكرم ضياء العمري، السِّيرةُ النَّبويَّةُ الصَّحيحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، ج، ١ (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: السادسة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) ص، ٢٢٤.

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٣/ ٤٩٧). الوجيز للواحدي(١١١٤).

(٤) المصدران السابقان.

(٥) لمنتظم في تاريخ الأمم والملوك, ابن الجوزي (٢٩٧/٣),تاريخ ابن خلدون(٤٥٤/٢), تهذيب سيرة ابن هشام, عبد السلام هارونص: ٣٣٣.

(أ) قوم نوح أول من أشرك وأول من عبد الأصنام على وجه الأرض.
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ...﴾(١).

اختلف في المراد بأمة واحدة ولكن رجح ابن كثير (رحمه الله) وغيره أن المراد الإسلام وهو ملة آدم حيث قال في تفسيره: (وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَصَحُّ سَنَدًا وَمَعْنًى؛ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا عَلَى مِلَّةِ آدَمَ، (عليه السلام)، حَتَّى عَبَدُوا الْأَصْنَامَ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نُوحًا، (عليه السلام)، فَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ)(٢).

(ب) قوم لوط أول مـــــــن أحدث اللواط وإتيان الرجال دون النساء. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾(٣).

(ج) اليهود أول من نقض العهد مع النبي (ﷺ) وذلك فيما يعرف في كتب السيرة بوثيقة المدينة. وهم أول عدو للإسلام و أشد أعداء الإسلام والمسلمين.
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(٤).

أخرج أَبُو الشَّيْخ وَابْن مرْدَوَيْه عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله (ﷺ) ماخلا

(١) سورة البقرة الآية، ٢١٣.
(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٥٦٩).
(٣) سورة الأعراف الآية، ٨٠.
(٤) سورة المائدة الآية، ٨٢.

يَهُودِيّ بِمُسلم إِلَّا هم بقتْله وَفِي لفظ: إِلَّا حدَّث نَفسه بقتْله(١). فعلى الداعية، أن يحذر شر اليهود في كل الأمكنة والأزمنة فهم يبتدعون طرق ووسائل عديدة لمحاربة الإسلام والمسلمين ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، هذا ما جادت به قريحة النفس من الأعداد والجمع، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده لا شريك له، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأتوب إلى الله من كل ذنب، وأسأله القبول والسداد. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصل الله على نبينا محمد - وعلى آله وصحبه وسلم - تسليما كثيرا مزيدا

١ أ) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ١٢٩)

الخاتمة

وفي ختام الدراسة نسأل الله حسنها:

أهم النتائج:

(١) إن أصحاب الإيمان العميق، والخلق القويم، والغيورين على طهارة النفوس وأعراض للناس، يستميتون في للذب عن دينهم، وعن كل ما أمر الله تعالى بالدفاع عنه.

(٢) اقتضت حكمة الله – سبحانه– أن تكون عقوبته العادلة للمجرمين متناسبة مع جرائمهم وقبائحهم،، يؤكد ذلك، أن قوم لوط (عليه السلام) حين قلبوا الأوضاع، وتركوا ما أحله الله لهم، وانغمسوا فيما حرمه –سبحانه– كانت العقوبة متسقة مع قبائحهم، حيث عاقبهم بأن جعل ما هو الأعلى من قريتهم هو الأسفل.

(٣) اتِّفاق الأنبياء، والرُّسل على الدعوة إلى الأصل الأساسيّ من أصول الإيمان، وهو توحيد الله –تعالى–.

(٤) دور المرأة في الكفر والعصيان شمل الأقوام الثلاثة.

(٥) الجزاء من جنس العمل فأهلكهم الله من حيث لم يحتسبوا.

(٦) اليهود أول من نقض العهد مع النبي (ﷺ) وذلك فيما يعرف في كتب السيرة بوثيقة المدينة .

(٧) الصفات مشتركة بين الأقوام الثلاثة الكفر والتكذيب والعناد والتكبر والتعالي على الرسل الكرام (b) والتهديد بالقتل والتشريد.

التوصيات:

توصي الدراسة بالآتي:

(١) التربية الصحيحة وتوضيح الحقائق الدينية

(٢) الاهتمام بالنشء.

(٣) الاهتمام بتعليم المرأة.

(٤) الصبر على الدعوة والعاقبة للصابرين.

(٥) معارضة الداعية تجلب المصائب.

المصادر والمراجع

* أبو بكر عبد للقاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي، دَرْجُ الدُّرر في تَفسيرِ الآيِ والسُّوَر،،دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا (الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

* أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ للدين النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي للدين ديب مستو، (دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

* أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور.

* أحمد عبد الغني الجمل، للدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ للدكتور عبد الحي الفرماوي (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

* أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة،ج٤،المحقق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

* أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تفسير مجلهد، تحقيق: للدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، (دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).

* أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري (المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت١٤١٢هـ – ١٩٩٢م).

* أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ).

* أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته (دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ).

* أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م).

* أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون د. عبد الله بن عبد المحسن التركي (مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م).

* أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم).

* أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، (المكتبة العتيقة ودار التراث،د،ت،ط).

* أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،ج، ٤ دار إحياء التراث العربي –

بيروت،د،ت،ط).

* أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي (شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ)

* أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد (دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ).

* أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٤، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي (دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م).

* أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير للدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير المحقق: صدقي محمد جميل– دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ).

* الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر للدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م).

* أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)ج، المحقق: للدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي (دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

* أيسر التفاسير للجزائري (٤/٤٣٤-٤٣٣).

* أيسر التفاسير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري. الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية -٤٩٤-٤٩٣).

* برهان للدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، برهان للدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

* تحفة الأحوذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. (٥/١٣١).

* جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

* جمال للدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير،المحقق: عبد الرزاق المهدي (دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ).

* حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي التميمي الحنبلي، مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى (دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ).

* السيرة النبوية على ضوء الكتاب والسنة,محمد سويلم أبو شبهة(٢/٤١٦-٤١٧).

* شرح سنن النسائي المسمى شروق أنوار المنن الكبرى الإلهية بكشف أسرار السنن الصغرى النسائية لمحمد المختار بن محمد بن أحمد مزيد الجكني الشنقيطي. الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ. الناشر: مطابع الحميضي ١٩٩٩م).

* الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر (مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

* عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر،،المحقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير (دار الفكر - عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

* عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور (دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م).

* عبد الرحمن بن محمد القماش، جامع لطائف التفسير.

* عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة،د،ت،ط).

* للقاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، الأحكام السلطانية للفراء، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي (دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

*مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، موطأ الإمام مالك، ج، ١ المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل (مؤسسة الرسالة،١

١٤١هـ).

* محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م).

* محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، تفسير القرآن الحكيم –تفسير المنار، (الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٠م).

* محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح للقدير، (دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ).

* محمد المكي للناصري، التيسير في أحاديث التفسير، (دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

* محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المحقق: د. مجدي باسلوم (دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م).

* محيي للدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، ، (دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، –دار اليمامة – دمشق – بيروت– دار ابن كثير – دمشق – بيروت،الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ).

* محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود(دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ).

* محمد المكي الناصري (الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

* محمد المكي للناصـــري، التيســـير في أحاديث التفســـير، (دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان (الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

* النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي للقاســـم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي للدمشـــقي، النبوات، تحقيق، عبد العزيز بن صـــالح الطويان (أضـــواء الســـلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)

* الواحدي: الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي (دار القلم , الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص عربي	٢٣١
الملخص إنجليزي	٢٣٢
المقدمة	٢٣٣
المبحث الأول: تعريف مشتملات عنوان البحث	٢٣٦
المطلب الأول: تعريف العاقبة	٢٣٦
المطلب الثاني: تعريف المنذرين	٢٤١
المطلب الثالث: تعريق القصة القرآنية	٢٤٣
المبحث الثاني: عاقبة المنذرين	٢٤٩
المبحث الثالث: مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ	٢٥٢
المبحث الرابع: صباح المنذرين	٢٦٨
المبحث الخامس: أوجه التشابه بين الأقوام الثلاثة	٢٧٢
الخاتمة	٢٨١
المصادر والمراجع	٢٨٣
فهرس الموضوعات	٢٩٠